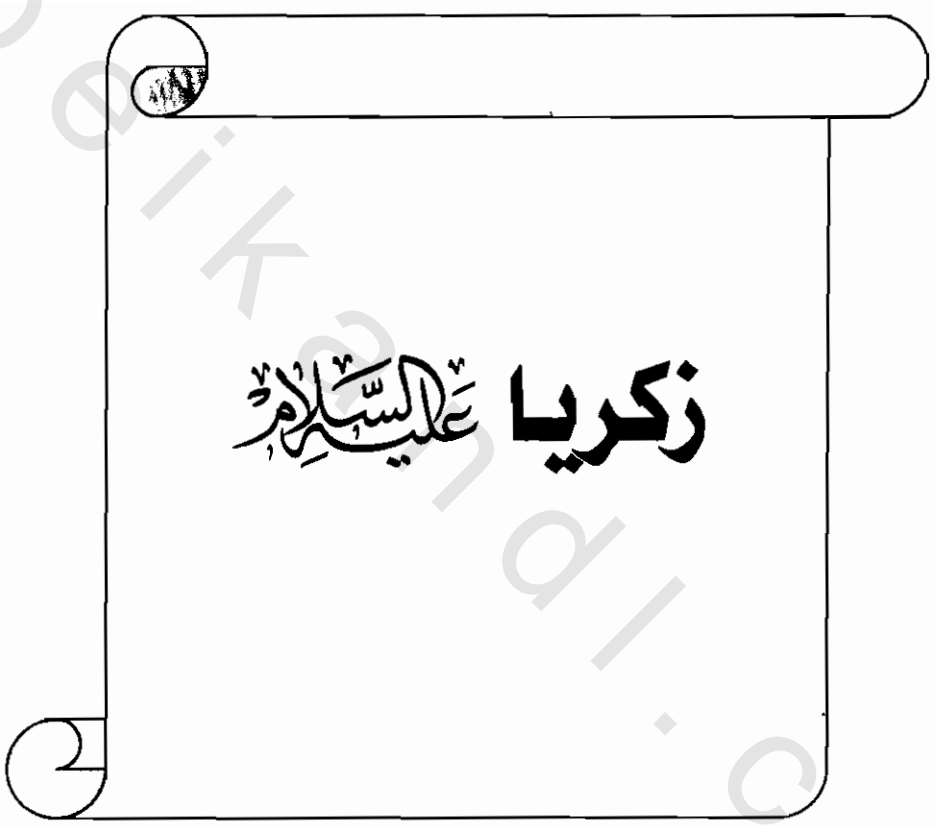

obeikandl.com

obeikandl.com

زكريا عليه السلام

هو نبي الله زكريا بن برخيا، ويمتد نسبه إلى سليمان بن داود عليهما السلام، وهو الذي كفل مريم ابنة عمران أم نبي الله عيسى عليه السلام.

وكان عليه السلام رئيساً لعلماء الدين في بيت المقدس وزعيماً للمؤمنين.

دعوته إلى قومه:

قبيل ميلاد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام بعث الله زكريا عليه السلام رسولاً إلى بني إسرائيل.

فقام يدعوهم إلى الله، ويخوفهم عذابه، في وقت اشتد فيه الفسق والفجور وانتشرت المنكرات، وكثرت المعاصي.

وقد لقي زكريا عليه السلام من الحكام والجبابرة وبني إسرائيل كل عنف ومشقة، وكل جهد وبلاء، وناله من أذاهم الشيء الكثير، وتوالت عليه الأهوال والشدائد، فلم يعد به طاقة لتحمل الأذى والأخطار، وخشي على بني إسرائيل أن يضلّوا ويفتنوا، فطلب من ربه أن يعينه بولد يواسيه في شيخوخته، ويخلفه في تبليغ الرسالة، قا تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٨٩، ٩٠].

الملائكة تبشر زكريا عليه السلام بيحيى:

كان لمريم عليها السلام محراب خاص تتعبَّد فيه، وكانت لا تغادر مكانها إلا قليلاً تقضي وقتها كله في عبادة وصلاة، وكان زكريا عليه السلام يزورها في المحراب، فكلما دخل عليها المحراب وجد عندها فاكهة في غير أوانها.

فسألها زكريا عليه السلام وقال لها: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾؟ [آل عمران: ٣٧].

قالت مريم عليها السلام: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران: ٣٧].

فعلم زكريا أن الرازق للشيء في غير أوانه قادر على أن يرزقه ولداً، وإن كان قد طعن في السن، وكانت امرأته عاقراً.

هنا دعا ربه خفية قائلاً: ﴿رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾﴾ [مريم: ٤ ـ ٦].

استجاب الله سبحانه وتعالى دعاء زكريا، وأرسل إليه ملائكة تبشره بأن الله تعالى سيهب له ولداً، وقد اختار له اسم يحيى، وسيكون مؤمناً.

فنادته الملائكة وهو يصلي في المحراب، فبشَّرته بالغلام، فقالت: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [آل عمران: ٣٩].

تعجَّب زكريا عليه السلام من هذه البشرى؛ لأنه طاعن في السن، فقال: ﴿رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾[آل عمران: ٤٠].

فقيل له: ﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾﴾ [آل عمران: ٤٠].

بعد أن بشَّرت الملائكة زكريا عليه السلام بغلام طلب من الله تعالى أن يجعل له علامة ودليلاً على وجود الحمل في بطن زوجته.

فاستجاب الله عز وجل لطلب زكريا عليه السلام وقال له سبحانه: ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾﴾ [مريم: ١٠].

تحققت إرادة الله، وحملت زوجة زكريا عليه السلام، ولما انتهت مدة الحمل وُلِدَ يحيى، فخصَّه الله منذ الصغر ببصيرة قادرة على التفقه في الدين وتفهم أحكام الشريعة وطهَّره من الرجل والدنس، وجعله تقيًّا مطيعاً، وجعله الله كثير البر والإحسان بوالديه، ولم يكن قاسياً متكبراً، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾﴾ [مريم: ١٢، ١٤][1].

* * *

(١) «تفسير أبي بكر الرازي»، الرازي. (بتصرف).